سِيرَةُ الْهُمَامِ أَسَدِ الْقَوْقَازِ

الإِمَامِ شَامِلِ

الدَّاغِسْتَانِي

المؤلف

أَبُوعَبْدِ اللَّهِ عِيسَى بْنُ مُحَمَّدِ

بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّامِيِّ (ق ١٥ هـ)

سِيرَةُ الْهُمَامِ أَسَدِ الْقَوْقَازِ

الإِمَامِ شَامِلٍ

الدَّاغِسْتَانِي

المؤلف

أبو عبد الله عيسى بن محمد

بن إبراهيم الشامي (ق١٥هـ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا

مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

أَمَّا بَعْدُ

قال الله ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) [آل عمران: ١٠٢]

قال الله ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)) [النساء:١]

قال الله((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)) [الأحزاب: ٧٠ و٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

*** قال عبد الستار الهندي المكي الحنفي**

الشيخ شامويل بن محمد ديكا الداغستاني الكمثراوي

الفقيه، الشافعي، الإمام الهمام الجليل، والعالم الفاضل النبيل، الفائق علماً وزهداً وورعاً وحسباً ومعرفةً وذكاءً وفطنةً ونسباً، البحر الزاخر

عالم تلك الأرض وديارها

جاهد في سبيل الله مع المسكوب

لإعلاء كلمة الله نحو الثلاثين سنة بالجيوش الإسلامية والعساكر

ففر من سطوته كل أسد [كاسر] فأسر منهم وقتل

حتى هالهم فعله، فعملوا عليه حيلة بواسطة من كان معه من القبيلة

فمسكوه وأسروه بحيلة، ووضعوه في سراية جليلة عندهم في شبكة الاعتقال

وذلك سنة ١٢٧٦هجري

وقد سعوا له رجال [الدولة] العلية بالفكاك من الاعتقال بواسطة الوزير عالي باشا الصدر الأعظم ليقيم بنواحي الدولة العثمانية بعد أن رتبت له الدولة ما يكفيه وذويه، وكان بالآستانة العلية.

اجتمع به شيخنا هناك في سنة ١٢٨٦

وفيها قد اجتمع بحضرة سلطان العصر فخر الملوك العثمانيين، خادم الحرمين الشريفين، مولانا السلطان الغازي عبد العزيز خان بن السلطان الغازي محمود خان

وفيها أيضاً قدم للحج الشريف وذهب إلى زيارة قبر سيدنا الرسول ﷺ فأقام بها

فتوفي في أواخر السنة ودفن بالبقيع، رحمه الله، آمين .

*** كتاب فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي (ص ٦٧٨)**

المسكوب أو الموسكوب : المراد بها بلاد اتحاد الجمهوريات السوفيتية، وكان العرب يقولون عنها بلاد الموسكوف أو الموسكوب؛ لأن عاصمتها موسكو

الدولة العلية - هي الدولة العثمانية يقال الدولة العلية العثمانية

الصدر الأعظم: الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية، وكان وكيلاً مطلقاً للسلطان، وللتفريق بينه وبين غيره من الوزراء أطلق عليه الوزير الأعظم؛ كما لقب بالصدر العالي وصاحب الدولة، وكانت لديه صلاحيات كافة الأمور في الدولة، وكان لديه ختم السلطان، وكان رئيساً للديوان الهمايوني، وكافة الأوامر التي تصدر لنصب أو عزل أو قتل كانت تصدر منه، إلا أنه كان يستأذن السلطان في موضوع يتعلق بأحد الوزراء أو القاضي عسكر أو شيخ الإسلام. وكان يطلق على الدائرة التي يعمل فيها الصدر الأعظم باب الباشا، والباب الآصفي
(المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ص:١٤٣-١٤٤)

*** قال احمد بن محمد الحضراوي المكي الهاشمي**

الشيخ شامويل بن دنكا الداغستاني الكمثراوي

المجاهد لإعلاء كلمة الله في المسكوب الفقيه الشافعي الامام الجليل والعالم الفاضل النبيل الفائق علماً وزهداً وورعاً وحسباً ومعرفةً وذكاءً وفطنةً ونسباً
جبل عرفات العرفان البارع في جميع علوم اللسان البحر العجاج الجامع بين سهلها والفجاج عالم تلك الأرض والديار ومنير تيلك الجهات باليل والنهار

جاهد في سبيل الله بتلك الناحية بالعساكر ففر من سطوته كل اسد كاسر وازال ركن الاعداء وقمع شوكتهم بكل هندي باتر حتى ضايقهم غاية المضايقة وتناوش معهم سرا وعلانية غاية المناوشة حتى اسر منهم وقتل وضرب فيهم وهو ليث مستقل منتخب للوطيس

حتى هالهم فعله فتواطؤوا مع بعض جنوده بالتدليس وعملوا عليه حيلة بواسطة من كان معه من القبيلة ومسكه المسكوب بالأيدي واسروه اسرا كاد ان يكون له مرديا ووضعوه في سراية جليلة يجبرون عليه ما يكفيه وذويه وهو في قبضتهم مل العقيلة وذلك كان سنة ست وسبعين ومئتين وألف

واما هو في العلم بحر زاخر لكنه يميل الى التصوف عالم عامل ذو شيبة بهية حسنة ووجه منير كالقمر

وكان سبب اعتقالهم له ان قران المسكوب حين تعب من مقاومته والخصام جعل جعلا لمن يلتمس حيلة في اسره وباطنوا كبراء رجاله فدفعوه الى الصلح بينه وبينهم وخامروا عليه حتى صار في أيديهم

فكانت مدة محاربته لهم نحو الثلاثين سنة

وقد اجتمعت بحضرته السنية في الاساتنة العلية سنة ست وثمانين ومئتين وألف

وفيها اتى الى مكة وحج بيت الله الحرام وذهب الى زيارة قبر رسول الله ﷺ سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ولم اجتمع مع في تلك السنة بمكة بعد قدومي من الاستانة

ولأنه تقابل في تلك السنة مع الحضرة الشاهانية مولانا السلطان عبد العزيز خان

اما ميله الى التصوف والله اعلم المراد تصوف القلب وهو تحقيق معاني المراقبة

الاستانة هي اسطنبول

الزيارة المشروعة لا الممنوعة وهي شد الرحل الى المسجد كما في الحديث وعمل المشروع من العمل الصالح لا قصد القبر لأجل ذاته فيسمى من شد الرحل الى المسجد وعمل الطاعة فيه انه زار المسجد
والقبر تبع للمسجد لا أصل كما هو مقرر عند علماء اهل السنة

الهندي الباتر هو السيف القاطع

وقد سعى له الرجال بالفكاك من الاعتقال ليقيم بنواحي ممالك الدولة العثمانية بعد ان رتب له ما يكفيه وذويه من قران المسكوب

على كل حال حفظه الله تعالى امين وقدم الحج الشريف سنة ١٢٨٦ ست وثمانين ومئتين وألف وبعد قضاء المناسك توجه في سنة ١٢٨٧ الى المدينة المنورة بقصد المجاورة
فتوفي في هذه السنة في اخرها

وقدم ابنه الأكبر في أواخر سنة ١٢٨٧ وتوجه الى المدينة زار ثم رجع الى الاستانة رحم الله الجميع

*** كتاب نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث و العبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر و الثالث عشر (ج٢ - ص٣٣)**

قران المسكوب اليوم هم الروس الملاحدة

لفظ السيد اذا نسب الى الرسول على قول فيراد به السؤدد والرفعة المقيدة فهو مقدم ومرفوع عند الله على سائر البشر باتفاق وعلى سائر الخلق على قول عامة اهل اسنة
اما السؤدد والرفعة المطلقة فهي لله سبحانه وتعالى ففي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ السيد هو الله

داغستان مجموعة قرى في القوقاز

*** قال نذير بن محمد حاج البركيلي الداغستاني**

(الامام الثالث شامل بن دِنْكَاوْ محمّد الكمراويّ الأواريّ الداغستانى الشهير بإمام شامل)

(مولده)

ولد فى حدود سنة 1212هـ فى قرية كيمرة من مديرية خونزاخ على نهر قُويْسُوْ قرية ذات ثمار وعنب ورطب

(اخذه العلم)

أخذ فى حداثة سنّه عن العالم المتبحّر البركاني سعيد صاحب النبيذ المشهور وصَاحبَ المقدام الغازى محمد الشهيد وسافر معه الى يراغ العليا في ناحية كوره لتلقى الطريقة النقشبنديّة عن الشيخ محمد أفندي عن الشيخ خاص محمد الشرواني عن اسماعيل الكوردميري عن البغدادي خالد الشهير فأجازهما اليراغي وكرّا راجعين الى كيمرة.

(عزلته)

فاختفى البطلان مع حداثة سنّهما عن أعين النّاس وعكفا على العلم والعبادة لبثا عليه برهة

(بعد العزلة القيام بالدعوة للجهاد والمعروف)

ثم ظهرا يعظان الناس ويجاهدان العادات الموروثة عن الآباء التى لا يتزن عليها الكتاب والسنّة ولا توافقها المصالح من شرب الخمر الشائع حينئذ واتيان الفحش والظلمات التي لا يكاد النور والهدى من بينها يبين، حتى جلبا قلوب الناس اليهما واحبّوهما، فتصدّى المقدام الشجيع (الغازي محمد) للإمامة وحشد الجموع لنصرة الدّين وأخذ البطلَ (شاملا) عضدًا له وعونًا وشامل لا يفتر عن أوامره

(جهاده)

حتى عهد الغازي محمد قيادة الجيش حين ما هاجم قريتي (اونصوكول) و (خونزاخ) شاملاً وأظهر البطل شامل فى تلك المصادمات شهامته ونجابته، فحاصرت الدّولة الرّوسيّة بعساكرها الكليّة الامام الغازي محمد ومعه أتباعه وأشياعه في مضيق (كيمرة) فاستشهد الغازي محمد وأصيب شامل جراحة وصرع بين القتلى متماوتا حتى إذا أظلم تمشّى رويدًا الى حرج قريب ومنه الى اونصوكول فاندمل جرحه وبرء ولحق بالإمام الثاني حمزة واشترك في نحر امراء (أوا ر).

وألقى الصّبيّ (بولاج) في نهر قُويْسُوْ وجعل قصور امراء أوار الذين لا يراعون في الله الاًّ ولا يراقبون في الله ذمّة أطلالاً وأوكارًا لِلْبُومِ والغِربان.

يظهر والله اعلم ان الشيخ رحمه الله في العزلة وبعد العزلة لزم السنة والشريعة الظاهرة

(امامة شامل)

ثم بعد استشهاد الامام حمزة احتشد أهل الحلّ والعقد من جميع قرى أوار في بقعة (عالادا) التابعة لبوزره وأقاموا شاملاً اماماً وقائداً عامًّا لطرد الرّوس عن داغستان واحياء الدين الإسلامي ونشر العلم واقامة العدل والميزان، فأخذ البطل على عاتقه جميع شؤون الملّة وهجر الكرى وأقام القضاة والقواد وجمع الجنود وأيّدهم ونظمهم وفق الزّمان والمكان وألف شملهم وألغى جميع الرسوم الباطلة الزائغة حينئذ وحارب أوّلا جميع المتغلبين الذين صالحوا الرّوس وشايعوهم حتى أقصاهم وفتك بهم فصفى له (أوارستان) فبث الجهاد وهاجم الرّوس حتى اضطرّهم للجلاء عن معظم جبال داغستان بعد ما كانوا أقاموا بها حصونا وشيّدوا بها بروجًا لا يرام لها.

(معركة الأسود)

فلمّا أحسّتْ دولة الرّوس فتكات شامل تألّبَتْ بعساكره من كلّ وجه وحاصرت بجنوده دولة شامل حتى الجأته أخيرًا الى (احول كوح) (تل النقير) فأبرز أشياع شامل في هذه المعركة من الشجاعة ما يدهش الأبطال وداموا على هذا الحصار مدّة مديدة الى أن انسل شامل وعدّة من شيعته وولده من التَّـلِّ خفيّة الى جاجان فقوى هناك عضده وجمع شمله. *

ولمّا قوى أمر شامل وهابت الدّولة الرّوسية مِنْ نُمُوِّ نفوذه هيأت القائد (وورونسف) وأيدته بذخائر وأسلحة وجنود كثيرة ووجهته الى (ويدانو) يباغت شاملا ويفاجئه فقابل هناك شامل وعساكره كالليوث العوابس وهزم الرّوس شر هزيمة حتى ناف عدد القتلى في هذه المعركة من الرّوسيين ستّة آلاف نفس.

وهذه الغلبة هي فاتحة اقبال شامل وحركاته

(مدة جهاده ومعاوله وسياسته)

ودام شامل يدافع عن وطنه بعزم لا يطرأ عليه ضعف ولا يعتريه وهن خمسة وعشرين سنة وذلك دليل لا يحتاج الى برهان آخر على مهارته في تدبير الحروب واضطلاعه في فنون السياسة ناهيك بمدافعه وبيوت ذخائره وأسلحته ومعامل البارود ومناجم الفحم والكبريت وغيرها.

كان له جند منظم يبلغ عدده زهاء ستين ألف مقاتل مسلّح، وكان له معمل مدافع استخدم به أحد المتخرجين في مدارس (مصر) داغستاني، وبيت مال منتظم بغاية الاتقان، ومعامل كثيرة للبارود، ومعامل الأسلحة البارودة أيضا، وقسم شامل جميع ولايته الى النواحي وعيّن لها نوابا وقضاة ومعلّمين علماء، وجمع حوله العلماء والقواد والشجعان وأبرز في جميع أفعاله التفوق التامّ والاستعداد.

من دلائل نجابة ومهارة شامل أنه ألّف من الأقوام الجبلية المختلفي الألسن والطبائع جندا منظما وقام به الدّولة الرّوسية مدة سنة 25 بلا فتور بحيث اندهش له العالم الغربي وتذاكر اسمه في صفحات الجرائد والندوات السياسية

*** قال الله (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)**

(سنة الله المدافعة - والنصر هو اتباع امر الله والموت على ذلك)

ولكنّه رغمًا عن الموفقيات التى منحها الله ايّاه ركن بعض من قواده وشيعته الى الوهن والفشل وأوجس في قلوبهم الحقد والكسل فضعف به أمر شامل ووهنت شوكته وصار أخيرًا طعمة للرّوسيا الهلوع واضطرّ بخيانة أصدقائه وقواده الى التسليم في (غونيب) لدى القائد (باريياتينسكى) سنة ١٢٧٦ ه 1859 م. *

بعد ما لبث شامل مع عائلته فى روسيا تحت طاعته عشر سنين سافر الى الحجّ وتوفى فى المدينة سنة 1287 ه فى ذى القعدة و ١٨٧١ ميلادية ودفن فى البقيع رحمه الله. *

كذا ذكره الأديب الشابّ محمد سيّد الأوارى.

وسيرته وترجمته كثيرة شهيرة تغنى عن الاطالة والاسهاب وقد أفرد النّاس في ذلك وترجموا الى لغات اخرى وقد أثنى عليه جميع الناس من علماء الأقطاع وأعيان الأمصار وجعلوه شيخ الاسلام وامام الدّين ومجدّده وان ما جرى عليه في حروبه كلّها حقّ مطابق للشريعة العادلة.

وقد أثنى عليه العالم العلامة ابراهيم الباجوري من علماء مصر والعلامة المحقق شهاب الدّين المرجاني القزاني وغيرهم.

قال العلامة حسن الدمياطى الشافعى المدرس في مكّة المكرّمة في رسالته التي ألّفها في سيرة الامام شامل أفندي ما نصّه: "وبالجملة فما عليه الشيخ شمويل هو الصواب وأحق بأن يتبع له من غير شكّ ولا ارتياب ومخالفه مفتر كذّاب ومعاندٌ غرّار" اه،
وهذه رسالة صغيرة أرسل مؤلّفه المذكور الي الإمام شامل حين كان حيًّا في المعركة التي وقعت في قلعة (جوخ) سنة ١٢٦٥ وقرظها علماء مكة كالعلامة أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي المدرّس بالمسجد الحرام والعلامة أحمد بن السيّد بثي الشافعي المدرّس بالمسجد الحرام، ومنهم كثير شهير.

وقد عاند العالم يوسف اليخساوي على الامام وأتباعه وقابل عليهم بالنثر والشعر وقد حطّ أيضا معاصروه بالنقص والملام وكذا من بعده.

*** والمعنى كما ذكر فيما تقدم من ذكر الخيانة ...**

حتى هالهم فعله (الروس) فتواطؤوا مع بعض جنوده بالتدليس وعملوا عليه حيلة بواسطة من كان معه من القبيلة ومسكه المسكوب بالأيدي واسروه اسرا كاد ان يكون له مرديا ووضعوه في سراية جليلة يجبرون عليه ما يكفيه وذويه وهو في قبضتهم مل العقيلة وذلك كان سنة ست وسبعين ومئتين والف

وكان سبب اعتقالهم له ان قران المسكوب(الروس) حين تعب من مقاومته والخصام جعل جعلا(مالا) لمن يلتمس حيلة في اسره وباطنوا كبراء رجاله فدفعوه الى الصلح بينه وبينهم وخامروا عليه حتى صار في أيديهم (هذه هي الخيانة)

* بعد اسره كما مر ...
وقد سعوا له رجال [الدولة] العلية بالفكاك من الاعتقال بواسطة الوزير عالي باشا الصدر الأعظم ليقيم بنواحي الدولة العثمانية بعد أن رتبت له الدولة ما يكفيه وذويه، وكان بالآستانة العلية.
ثم ختم حياته بالسفر الى الحج ومجاورة المدينة ومات رحمه الله فيها

قال العالم النجم الحزي يهجوه:

وازمع وانظر اذا هل محدثٌ دنسا - فى عرض ليث الشرى أن تنهق الحمرُ
والليث يشمله حد الاسود وان - خرّت وخارت على انكاره البقرُ
أنّى يبالى وان لجّت مقوقية - هَذَى الدجاج عقاب الجوّ والصّقر
نباح مثلك هل تجنى مضرّة من - يتلو التراب له الأمداح والحجرُ
تراب أرض من الحمرآء ألبسها - ما خاطه السيف لا ما خاطه الابرُ
يا يوسف الذمّ كذبٌ ما تقول ولا - بالهجو قولك فى الأقوال يعتبرُ
لذكره أسْتُكَ وبَسْمَلْ لن يحلّ ولو - ثناؤه لمعادٍ فمه قذرُ
واختم يا منكرا أسر الامام وقل - هل يكسف النجم الا الشمس والقمر

---

* **نزهة الاذهان في تراجم علماء داغستان (ص٤٤)**